و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

لبّيكَ إلهَ الحقّ

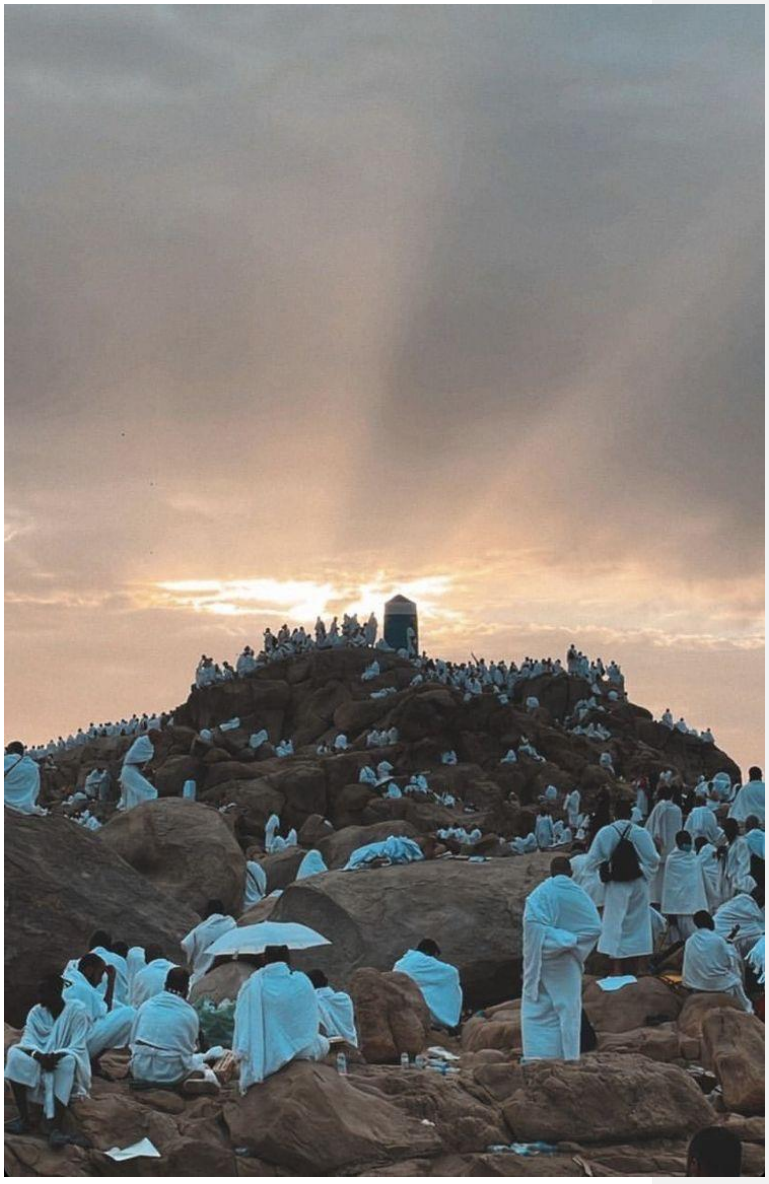

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٤/١٢/١هـ

لبّيكَ إلهَ الحقّ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللْ فلا هادي له. وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله.

حديثنا اليوم عن رحلة لا تُشبه أيًا من الرّحلات، وعن سفرٍ لا يشبه شيئًا من سفر الدّنيا، **قد تكون هذه الرّحلة الأولى في حياتك التي لا تمتلكُ تفاصيلها**، ولا تضعُ شروطها، ولا تتّخذُ قرار الذّهاب فيها من عدمه، وإنّما ذلك اصطفاءٌ واختيارٌ من الله سبحانه تعالى، فإذا اصطفاك الله واختارك كنتَ في قوافل الحاجّين، وكنت من أولئك الذين تدعوهم مكّة المكرّمة بأسمائِهم.

حديثنا اليوم عن رحلة الحجّ، **هذه الرّحلة التي أُختيرت أسماءُ ركّابها في ليلة القدر في رمضان الماضي**، وما التّصريح الرّسمي إلا سببٌ، ولكنّ الاختيار الأول والأخير لله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم»[1]، فهذا الاصطفاء ليس اصطفاءً عاديًا، فهناك الملايين من المسلمين من هم أغنى منك ولم يذهب، ومن هو أصح منك ولم يذهب، ومن هو أيسر منك حالًا ولم يذهب، وربّما تكون كل السّبل مهيّأةً له، لكنّ الله -عزّ وجل- لم يردْ له، فلم يكن اسمه ضمن الحجيج.

اختارك الله -عزّ وجلّ- لأنّه يريدك أنت، ولأنّه نظر إليك، وقد تعدّدت حاجاتُك، وتعدّدت دعواتك له، وأنت تُلحُّ عليه ليلًا ونهارًا، فيريد أنْ يغسلَ قلبك ويستجيبها لك.

1 أخرجه البزار في مسنده وقال الالباني حسن

- **لماذا نَحُجُّ؟**

أولًا: الحجُّ عبادةٌ وطاعةٌ:

بنى إبراهيمُ الكعبةَ المشرّفة، ثمّ أمره الله تعالى أنْ يؤذّن في الناس داعيًا إيّاهم إلى الحجّ، فقال إبراهيم: " يا ربّ وما يَبلغ صوتي "، يقصد: كيف لهم أنْ يسمعوني، وأنا وَسَط الصّحراء،

فأجابه ربُّ العزة جل جلاله: " أَذِّنْ وعلينا البَلاغ ".

فأذّن إبراهيم -عليه السّلام- قبل ملايين السّنين فقال: **"يا أيّها النّاس إنّ الله قد كتبَ عليكمُ الحَجَّ فحُجُّوا"**،

فتطامنت الجبال لصوتِ إبراهيمَ، ووصلَ صوتُه إلى الذريّة في أصلابِ الرّجال وأرحامِ النّساء، ليجد كُلُّ إنسانٍ منّا هذا الشّوق للبيت، هذا الشّوق، وهذا الحب، التّلبية الأولى لذلك النِّداء!

ولذلك **قال الله -عزّ وجلّ-:﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: 196)**، فالحجُّ طاعةُ الله وعبادته،

وقال الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾**(آل عمران: 97)**، فهذا حقُّ الله -سبحانه وتعالى- عليك.

أمّا من كفرَ بالحجّ، ولم تشتقْ نفسه يومًا له، **فقال عنه الله سبحانه وتعالى:** ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ **(آل عِمران: 97)**.

والعبادات أنواع: عبادةٌ يوميّة هي الصّلاة، وأُسبوعيّة مثل يوم الجمعة، وسنويّة مثلُ شهرِ رمضان، ومرّةًفي العُمر تسمّى **(عبادةً عمريّة)** وهي الحجّ. فحجّك الأوّل هو الفرض، أمّا إنْ حججتَ بعدها مرّةً أخرى فهي نافِلة.

يكرِّرُ النّبيُّ صلى الله عليه وسلم نداءَ إبراهيمَ للحجّ، فيقول:«أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا» [أخرجه مسلم في صحيحه]،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "[أخرجه مسلم في صحيحه]

لعلّ سائلًا يسألُ: لماذا نحجّ؟ على الرّغم من أنّنا نشتاقُ لأعمالٍ عِظام، ونريد أنْ نفعلَ شيئًا أكبرَ وهو الجِهاد في سبيل اللّه، وهذا السّؤال سألته عائشة رضي الله عنها النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام-: "قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ"[2].

وكما هو معلومٌ أنّ النّفقة في الحجّ كالنّفقة في سبيلِ اللّه؛ أي كالنّفقة في الجهاد، لاحظْ **قوله جل جلاله**: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ **(البقرة: 195)**.

وجاء بعده مباشرةً **قوله** جل جلاله:﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾(البقرة: 196).

قال النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام:"أفضلُ الأعمالِ الإيمانُ باللّه وحدَه، ثمّ الجهادُ، ثمّ حجةٌ برّةٌ تَفضُلُ سائرَ الأعمالِ كما بين مطلعِ الشّمسِ إلى مغربِها"[3].

فلو أردتَ شيئًا، يُخرجك من معاصيك وهمومك، ويطهّرك من ذنوبك، فعليك بالحجّ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: "إِنِّي جَبَانٌ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ.

قَالَ: "هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لَا شَوْكَةَ فِيهِ، الْحَجُّ"[4]. فالذي لا يقوى على المعاركِ والقتالِ، فعليه بالحجّ أيضًا.

ثانيًا: الحجُّ ولادةٌ للإنسانِ من جديدٍ:

يقول نبيُّنا الكريمُ -عليه الصّلاة والسّلام-: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"[5].

أحيانًا تشعر أنّك تريد أنْ تقومَ بعمليةِ مسحٍ شاملةٍ، فتعود كأنّك وليدٌ جديد، لتكون نقيًا طاهرًا بريئًا، خالياً من الذّنوب والشّرور كافّةً، والحجّ هو سبيلُك لتحقيقِ كلِّ ذلك. والحجُّ _إضافةً إلى ذلك_ يجعلُ منك شخصًا مختلفًا.

كما أنّه يغفرُ لك الذّنوب السّالفة، جاء عمرو بن العاص إلى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام _يريد الإسلام_ وقال له: يا رسول الله أبسط يدك أبايعْك، فلمّا بسط قبض عمرو يده، فقال له النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: مَه يا عمرو قال: يا رسول الله أردتُ أنْ أشترط، فقال له النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: وما تشترط؟قال: أنْ يغفرَ لي ربّي. فقال

[2] أخرجه البخاري في صحيحه.

[3] أخرجه الطبراني في معجمه، وقال الألباني.

[4] أخرجه الطبراني في معجمه، وصحّحه الألباني.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه.

النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: أَمَا علمتَ أنّ الإسلامَ يهدِمُ ما كان قبلَه، وأنّ الهجرةَ تهدِم ما كان قبلها، وأنّ الحجّ يهدِم ما كان قبله من الذّنوب"[6].فالحجُّ **(يهدِم)** الذّنوب، فكأن الذنوبَ بنيانٌ، والحجُّ شيءٌ قويٌّ يصطدِم به فيهدِمُه، يا له من تعبيرٍ تقشعرّ منه الأبدان!

ثالثًا: الحجُّ ضمانٌ لدخول الجنّة:

قالَ صلى الله عليه وسلم: " الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلّا الجنّة "[7].فالحجّ المبرورُ الذي يتقبّلُه الله -عزّ وجلّ- ليس له مكافأةٌ إلّا الجنّة، فلم يؤتَ بهذه اللّفظة أيَ عملٍ صالح آخر.

رابعًا: الحجُّ طريقٌ للسّعادةِ التّامّة:

قالَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذَا البَيْتِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ، ويُرْفَعُ في الثَّالِثَةِ"[8].

فاستمتعْ به، ولا تتأخّرْ عن أخذِك بالأسبابِ التي ستوصلكَ لمكّة.

خامسًا: الحجُّ ينفي الفقرَ والذّنوب:

فالله -عزّ وجلّ- جعل زيارتَك الكعبةَ حاجًّا أو مُعتمرًا إذا ما ضاق بك الرّزقُ، ووقعت في الفقر، علاجًا وإغناءً لك. **قالَ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: "تابِعوا بين الحَجِّ والعُمرة؛ فإنّهما ينفيان الفَقر والذّنوب، كما ينفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد والذّهب والفِضّة، وليس للحجّة المبرورةِ ثوابٌ إلّا الجنّة"**[9].

---

[6] أخرجه مسلم في صحيحه.

[7] أخرجه الطبراني في معجمه، وحسّنه الألباني.

[8] أخرجه الطبراني في معجمه، وصحّحه الألباني.

[9] أخرجه أحمد في مسنده، وصحّحه الألباني.

-أخي المسلم، أختي المسلمة- لا تظنّوا أنّ الفقر هو الفقر الماديّ فقط، بل هناك فقرٌ إيمانيٌ سوف يغنيك منه ربّك الكريم إذا قصدت بيته مُخلصًا.

سادسًا: الحجُّ قصدٌ العظيمِ:

حَجَّ فلان -لغةً-: أي قَصَدَ عظيمًا.

فأنت أيها المسلم لا بد أنْ يركنَ قلبُك إلى مقصودٍ، وهو ربّك العظيم، ولذلك فإنّ من يشتاقُ إلى ربّه يشتاق إلى بيته، ومن يشتاق للجنّة يشتاق لقطعةٍ منها، فليس على وجه الأرض شيءٌ من الجنّة إلّا (**الحجر الأسود والرّكن اليمانيّ**) فهما ياقوتتان من الجنّة، وما اسودّ الحجرُ إلّا من ذنوب ابن آدم.

- **مناسكُ الحجِ:**

أولًا: الإحرام:

وهو أوّل أركان الحجّ، وهو نيّة الدّخول في النّسك، حيث يبدأُ الحاجُّ المسافرُ إلى مكةَ جوًّا الاغتسالَ لسُنّة الإحرام في بيته، أمّا المسافرُ برّاً فيبدأُ الاغتسالَ حال وصولِه الميقاتَ. ويجبُ على النّساء خلعَ كلِّ أنواعِ الزّينةِ والحُليّ، ويجب أن يكون الاغتسالُ كاملًا، مع الحرصِ على تنظيفِ الجسدِ على أكملِ وجهٍ دون نسيانِ تخليلِ الماءِ بين الأصابعِ.

وبالنّسبة للمسافرِ بالطّائرة؛ عندما يتمُّ الإخبارُ بأنّه بقيَ نصفُ ساعةٍ للوصولِ إلى الميقاتِ، فيمكنُه أنْ يُحرمَ قبلَ الوصولِ بدقيقتين؛ وذلك بسببِ سرعةِ الطّائرة .فيقول: "لبيك اللهم عمرةً" إذا كان مُمتعًا، ويقول: "لبيكَ اللّهم حجًّا" إذا كان مُفردًا.

وهناك شيءٌ يجب أن نتنبّهَ له أنّ الإحرامَ ليس إحرامَ الجسدِ فقط،و إنّما هو إحرامُ القلبِ والفِكر، والتّطهرُ من كلِّ ما عَلِقَ به من ذنوبٍ ومعاصٍ، والتّوجّه لله تعالى بتوبةٍ صادقةٍ شاملةٍ عن كلِّ ما يغضبُ الله سبحانه وتعالى.

أمّا بخصوص **(لباس الحجّ)** فالرّجال يرتدون الكَفَن، والنّساء يرتدينَ لباسًا مُحتشمًا، معَ حجابٍ طويلٍ، دون ارتداءِ النّقاب والقفّاز، ويجب على النّساء الانتباهَ لسماكةِ العباءةِ، وعدمَ التّحجُّج بحرارةِ الجوّ لارتداءِ عباءةٍ رقيقةٍ.

يبدأ الحاجُّ يلبّي "**لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريكَ لكَ لبّيك، إنّ الحمدَ والنّعمةَ لكَ، والملك، لا شريكَ لك** "، ومعنى هذا أنّك جئت ملبيًا نداءَ ربّك، فلا تقلها بلسانِك فحسب بلا استحضرْ قلبك وجوارحك، وكأنَّ لسانَ حالك يناجي ربه: أنا العبدُ الملطّخُ المُذنب، أنا العاصي، أنا لم أتغيّر لكنّني جئتك ربّي طامعًا بكرمِك وعفوِك.

ولا مانعَ أنْ تدعو ربّكَ قائلًا: يا ربّ جئتُك، ووفدتُ إليكَ فأحسنْ وفودي، ووفّقني لعملٍ صالحٍ ترضاه، يا ربّ أتيتُك، وأنا لا أعلم كيف أؤدّي مناسكَ الحجّ، كلُّ ما أعلمُه أنّك الكريمُ الرّحيمُ الغفور، يا ربّ أعنّي على ما بقيَ من عمري أنا ومن أُحبّ... وادعُ ربّك دون كللٍ أو ملٍ بأيِّ دعاءٍ تريد.

يقول النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام-: **" ما مِن مُلَبٍّ يُلَبّي، إلّا لَبّى، مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، ..."**[10]فكلُّ ما على يمينك وما على شِمالك يلبّي تلبيتَك، ومعنى ذلك أنّ كلّ الأماكنِ شهودٌ على دعواتك يومَ القيامة.

ويقول عليه الصّلاة والسّلام أيضًا: **"ما أهلّ مُهلّلٌ قطّ ولا كَبّر مُكبّر قطّ إلّا بُشّر بالجنّة"**[11]، فإذا ما هلّلت وكبّرت؛ قالتِ الملائكة: " أبشرْ بالجنّة أبشرْ بالجنّة ".

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَحْلٍ، رَثٍّ، وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، أَوْ لَا تُسَاوِي، فقال الرسول: "اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةَ"[12].

فالحجّ ليس مكانًا للمراءاة أو المفاخرة أو إظهارِ مظاهرَ التّرف، فإذا كانت هذه المظاهرُ منبوذةً في الأماكنِ العاديّة، فكيف إذا وقعتْ في الأماكن المقدّسة، وفي خِضَمِّ أعظمِ العبادات، فتواضعْ وازهدْ قَدَرَ المستطاع.

[10]أخرجه ابن ماجه في سننه، وصحّحه الألباني.

[11] أخرجه الطبراني في معجمه، وحسّنه الألباني.

[12] أخرجه ابن ماجه في سننه، وصحّحه الألباني.

يُذكر أنّ عليّ بن الحسين كان إذا جاء هذا المَقام؛ لا يستطيع أنْ يلبّيَ فيقول : **"أخشى أنْ يقال لي: لا لبّيك ولا سعديك"**. وكان جعفرٌ الصّادق، وهو من أبناءِ عمومةِ النّبيّ-عليه الصّلاة والسّلام- يقول : **"أخشى أنْ يقالَ لي لبّيك وسعديكَ فأُجيب بغيرِ ما أريد "**.

ثانيًا: طوافُ القُدوم:

يبدأ من الحجرِ الأسودِ؛ فترفعُ يدًا واحدةً ويقول: **(بسم الله والله اكبر)** مرةً واحدة، ثم تبدأ بالطّواف سبعة أشواطٍ (مّرات) حول الكعبة المشرّفة،

ومن الطّبيعي أنْ يأخذَ الطّوافُ وقتًا طويلًا، ويكونُ فيه ازدحامٌ، ولكنّ الأهمّ أثناءَ الطّواف المثابرةُ بالدّعاء، ويجب عليك تجهيزُ دعواتِك مسبقًا. فتبدأُ بالثّناء على الله عزّ وجلّ وحمدِه وتقديسِه وشكرِه على نعمِه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، والاعترافُ بفضله، لأنّه مَنَّ عليك بالحجّ، ولعلّك _ تجد نفسَك قد أتممت شوطًا، ثمّ تدعو اللهَ بكلِّ يقينٍ وطُمأنينةٍ وتذلّلٍ بين يديه؛ أنْ يغفرَ لك ويعفو عنك، وربما تحتاج شوطًا كاملًا للاستغفار،

ادعُ لنفسك أنْ يعطيَك الله من خيري الدّنيا والآخرة، ولوالديك، ولذويك، وللعلماء، ولكلّ من تحبّ، ولكلّ منْ له فضلٌ عليك، ولا حَرَجَ إذا كان معك كتيّب تقرأ منه الأدعية، ثمّ تُكثر من الصّلاة على النبيّ شفيعِ الأمّة صلى الله عليه وسلم، فيجب أن تكونَ دعواتُك بين حمدِ اللهِ وبين الصّلاة على رسوله -عليه الصّلاة والسّلام-.

ولا أقصد -هنا- هذا التّرتيب بعينه، لكنْ حبّذا لو نظّمتَ أدعيتك كي لا تنشغلَ بالزّحام.

وبعد انتهاءِ الطّواف؛ تصلّي ركعتين، تقرأُ بالرّكعةِ الأولى سورةَ **(الكافرون)**وبالثّانية **(الإخلاص)**.

ثالثًا: السّعي بين الصّفا والمروة:

وهو ثاني أركان الحج،والسّعي **سبعةٌ** أشواطٍ؛ فعند ذهابِك إلى المسعى وأنتَ متوجّهٌ إلى الصّفا، تبدأُ بما بدأ به الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: 158)، تقولها مرةً واحدةً وأنت في بداية الشّوط. أمّا عندما تصعدُ جبلَ الصّفا تستقبلُ القبلةَ وتدعو: **(الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)**.

ففي هذا المكان -جبل الصفا- دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قريشًا، فقال له عمّه أبو لهب: **"تبًا لك، ألهذا جمعتنا سائر اليوم"**،وانفضّوا عنه وتركوا الرّسول -عليه الصّلاة والسّلام- قائماً وحده.

فلمّا دخلَ بعدها مكّة المشرّفة في حجّة الوداع بمئةِ ألفِ شخصٍ وقفَ -صلى الله عليه وسلم- على الصّفا، وقال نفسَ الدّعاء.

وبعد ذلك يدعو الحاجّ بما يشاء، ثمّ يكرّر نفسَ الدّعاء السّابق، مرةً ثانيةً، ثم يدعو بما يشاء، ثم يكرّر الدّعاء الأسبق مرةً ثالثة، فهذا الموطنُ الأوّلُ من المواطنِ الستّة لاستجابةِ الدّعاءِ في الحجّ.

وعند نزولك من الصّفا مرورًا بالمسعى، وأنت متوجّهٌ إلى المروة؛ تقول ما قالته هاجرُ رضي الله عنها لإبراهيم عليه السلام- عندما سألتْه -لمّا تركها مع ابنهما إسماعيل -عليه السّلام- في الصّحراء لا يملكون شيئًا- :إلى من تتركنا يا إبراهيم؟ فلم يردَّ عليها، فقالت: **"آللّهُ أمركَ بهذا؟"**، فقال: نعم، فقالت: **"إذًا لن يضيّعنا"**.

وكانت هاجر رضي الله عنها تركض حافيةً بين الصفا والمروةَ على رمال الصّحراء وصخورِها تبحث عن ماءٍ لتسقي ابنها الصّغير، فكانت ترى السّراب فتظنّه ماءً، فتركضُ نحوه، وهكذا بقيت تركض ذهابًا وإيابًا سبعَ مراتٍ، وعندما أتمّت الشّوط السّابع تفجّرت ماءُ زمزمَ تحت إسماعيل -عليه السّلام- وهي باقيةٌ إلى قيامِ السّاعة..

فاجعل -أيّها الحاجّ- ذهنك حاضرًا بهذه الامتحانات الإيمانيّة والخير الذي جاء ببركةِ هاجر وابنها إسماعيل. فألحَّ بالدّعاء وأنت تسعى ولا تجعلِ التّعب ينال من اجتهادك بالدّعاء؛ أسوةً بهاجر رضي الله عنها.

والصفا والمروة مقامٌ عظيمٌ؛ فعظّمْ دعاءَك فيه، واسألِ الله دون تردّد،وهذا الموطنُ الثّاني من مواطن استجابة الله للدّعاء. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "...فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ..."[13].

[13] أخرجه البخاري في صحيحه.

رابعًا:يومُ التّروية (المبيتُ في منًى):

يصِلُ الحجّاجُ في اليوم الثّامن من ذي الحجّة إلى **(منى)**، فإذا وصلتَ لمكانٍ ممتلئٍ بالخيامِ البيضاء؛ فاعلمْ أنّك في بقعةٍ من مسجدِ الخَيفِ ، وقد جاء في الأثر أنّ سبعين نبيًّا صلّوا فيه.

قال النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- لمّا وصلإلى منى؛ قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، ....،مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا"[14].

فأنت في مكانٍ لبّى فيه الأنبياء، ومرّوا فيه من إبراهيم -عليه السلام- إلى النبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- وصحابته -رضوان الله عليهم-.

وقد سُمّي يومُ التّروية بهذا الاسم لعدّة أسباب، قيل: لأنّهم كانوا يتروّون من الماء تجهيزًا لعرفة لأنّ هذا هو اليوم الثّامن من ذي الحجّة، وقيل: لأنّهم بهذا اليوم يروون المناسك، أي يتكلّمون ماذا يحدث في رحلة الحجّ، وقيل: لأنّه اليوم الذي تروّى**(تمهّل)** فيه إبراهيم حينما رأى الرؤيا بذبحِ ابنه.

فقصّة الحجّ كلُّها متعلّقةٌ بإبراهيم-عليه السلام- وأسرته. فمكان الجمرات هو المكان الذي كان سيذبح فيه إبراهيم-عليه السّلام-ابنه إسماعيل.

فإذا كان يومُ التّروية؛ **تَفَكَّرْ في حياتك الماضية، وفي حاضرك الذي رزقك الله فيه التواجد بهذا المكان، وكيف تستغلُّ عبادة الحجّ على أتمّ وجه؟** وأوجد بعض الحلول لحياتك القادمة فأنت في مكانٍ تُفَكُّ به الكُرَبات.

لذلك عليك أن تستثمر الوقت وتخصّصَ جزءًا منه لمراجعة نفسك، مراجعةِ توبتك المخروقة، تصحيحِ أخطائك، تطهيرِ قلبك وعقلك، والعزمِ على سَدّ ثغرات الضّعف والانجرارِ وراءَ النّزَوات.

خامسًا: الوقوفُ بعرفة:

وهو ثالث أركان الحج،وهو اليومُ التّاسعَ عشر من ذي الحجّة، في يوم التّروية -بعد أنْ صلّوا فيه الظّهر والعصر والمغرب والعشاء- يصلّون الفجرَ ثمّ يخرجون إلى عرفة. فنهارُ عرفة أعظمُ نهارٍ؛ يحتاج إلى تجهيزٍ من الليل: النوم الكافي، والأكل والشرب جيدًا، بالإضافة إلى التّجهيز الإيمانيّ فتحيي ليلة عرفة بالقيام والتّضرّع والذّكر والأدعية. وتُلحّ على الله أنْ يوفّقك في هذا اليوم المبارك. فهو خيرُ يومٍ طلعت عليه الشّمس.

إنّ اللهَ جل جلاله يَنزِل يومَ عرفة، فعلى الحاجّ أنْ يعلمَ أنّه على موعدٍ مع الربّ الكريم. فيخالطه شعورٌ مستمرٌ أنّه

[14] أخرجه مسلم في صحيحه.

بحالة ترقّبٍ، فينبغي أنْ يكون أهلًا للمَقام الذي بلّغه إيّاه ربُّ العزّة. وفي يوم عرفة تختلط المشاعر ما بين رجاءِ اللّه؛ أنْ يجيبَ الدّعوات وما بين الخوف من عدم التّوفيق في هذا الامتحان.

بعدها يذهب الحاجُّ إلى جبل عرفات ملبيًا: **"لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك".**

ووردت عن النّبي صلى الله عليه وسلم صيغٌ أخرى للتّلبية كقوله:"لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ، لَبَّيْكَ"[15]وأيضًا " ...لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ... "[16].

ومن المعروف أنّ اللّهَ سبحانه وتعالى أقسم بهذا اليوم في كتابه العزيز: ﴿وشاهد ومشهود﴾،

فكلّ الحجّاج يجتمعون دون استثناء في تلك البقعة من الأرض. هذا يوم عيدٍ للحجّاج، وهو ركنُ الحجّ الأعظم، والحاجّ -أثناء تواجده على عرفات- يشعر بالحنين، يشعر كأنه يعرف هذا المكان وأنه زاره من قبل، لأنه المكان الذي أخذ الله تعالى فيه العهد على كل البشر، العهد الذي يحب أن ينغز قلبك عند الإقدام على أي ذنبٍ أو معصيةٍ، جبل عرفات هو (نعمان) الذي ورد في الحديث الشريف: "إنَّ اللّهَ أخذَ الميثاقَ مِن ظهرِ آدمَ بِ (نعمانَ) يومَ عرفةَ ، و أخرجَ من صُلبِه كلَّ ذريةٍ ذراها فنثرَهمْ بينَ يديهِ كالذَّرِّ...ثمَّ كلَّمَهُم قَبلًا قال : أَلَستُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى"[17].

من الأخطاء الشائعة عند الحجاج أنهم يباشرون بالدعاء فور وصولهم إلى الجبل، والمفترض البدء بالدعاء بعد الظهر، فقبل الظهر اشغل نفسك بقراءة القرآن أو الذكر، وإن استطعت أن تنام قليلًا لتريح جسدك لتستطيع إكمال اليوم.

وبعد ذلك توضأ وتجهز للصلاة، وغالبًا تكون صلاتا الظهر والعصر جمعًا، وحَرِيٌّ بك أن تستمع للخطبة والدرس الذي يليها، بعد ذلك انسَ كل شيءٍ حولك، وجِد لنفسك مكانًا تدعو الله عز وجل فيه.

عندما صلى النبي عليه الصلاة والسلام الظهر والعصر وقف على دابته رافعاً يديه فلم ينزلهما إلا مع غروب الشمس، حتى أن خطام الناقة سقط أمسكه بيد وترك الأخرى مرفوعةً لئلا يضيّع أي لحظة بدون دعاء: "..ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا..."[18].

---

[15] أخرجه ابن ماجه في سننه، وصحّحه الألباني.

[16] أخرجه مسلم في صحيحه.

[17] أخرجه أحمد في مسنده، وصحّحه الألباني.

[18] أخرجه مسلم في صحيحه.

واجتهدْ أن يكون دعاؤك مشتملًا على ثلاثة أشياء : **دنياك وآخرتك ودينك**، وهذا مما علّمنا إياه نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام: **"اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، .."**[19].

فادعُ واستغفر -أيها الحاج- دعاء المضطر المستغيث الخاشع، ادعُ لدينك؛ حول القرآن -مثلًا- حفظه وفهمه والتدبر فيه... ادعُ لآخرتك؛ من سكرات الموت حتى يوم البعث مرورًا بالقبر... ادعُ لدنياك؛ لنفسك وأهلك وكل من تعرف ولا تحرم أحدًا، وحبذا لو كان معك كتيب الأذكار والأدعية، فإذا شعرتَ أن دعاءً ما يفك كربك وينفس ألمك فكرره ما استطعت وبقلبٍ حاضرٍ، ثم استغفر وهلل... المهم لا تقطع تواصلك مع إلهك العظيم أبدًا.

قال النَّبِيّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "**[20].

إن الله ختم هذا التهليل بأنه **(على كل شيءٍ قديرٍ)** فلا شيءَ مستحيلٌ على ربنا الكبير.

ستلاحظ -أيها الحاج- بدء خروج الناس كلهم من خيمهم مساء يوم عرفة؛ لأن الله تعالى ينزل في هذا الوقت ويباهي فيه ملائكته، قال محمد عليه الصلاة والسلام: **"إن الله عَزَّ وَجَلَّ يُباهي ملائكتَه عَشِيَّةَ عرفة بأهْل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي، اتَوْني شُعْثًا غبراً"**[21].

فهؤلاء لا يعرفون أن الله أعتقهم جميعًا من النار.

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام لبلالٍ الحبشي حينما كادت الشمس أن تغرب: **" يا بلال انصت لي الناس**-تخيلوا مئة الف كانوا موجودين على عرفة- **فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصت الناس فقال :معاشر الناس أتاني جبرائيل آنفا فأقرأني من ربي السلام ، وقال : "إن الله قد غفر لأهل عرفات وأهل المشعر وضمن عنهم التبعات"**[22].

فسأل عمر رضي الله عنه: "يارسول الله أهي لنا خاصّة؟ قال:هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة".

. فلِمَ نخاف من الذنوب والمعاصي وتبعاتها التي أوقعنا أنفسنا فيها ظلمًا إذا كان لنا ربٌّ كريم غفّار؟

---

[19] أخرجه مسلم في صحيحه.

[20] أخرجه التّرمذي في سننه، وحسّنه الألباني.

[21] أخرجه أحمد في مسنده، وصحّحه الألباني.

[22] أخرجه ابن العقيلي في الضعفاء الكبير، وصحّحه الألباني لغيره.

وعنْ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم-: غَدَاةَ جَمْعٍ «يَا بِلَالُ أَسْكِتِ النَّاسَ» أَوْ «أَنْصِتِ النَّاسَ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي جَمْعِكُمْ هَذَا، فَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ، لِمُحْسِنِكُمْ، وَأَعْطَى مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ، ادْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ"[23].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مامِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي الملائكة، فيقول ما أراد هؤلاء؟"[24].

ما **أعظم رحمة الله وكرمه! فربنا العلي يسأل: ما يريد هؤلاء؟ ليعطي كل سائل مسألته.**

ينزل الله يباهي بهم الملائكة، ويقول عبادي أتوني شعثًا غبرًا، يرجون رحمتي ويخشون عذابي، فيقول لملائكته أشهدكم أني قد غفرت لهم، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له.

سُئِل أبو سفيان الثوري -رحمه الله-: (**من هو أسوأ الناس حالاً في عشية عرفة؟ قال الذي يظن أن الله لا يغفر له**).
لذلك عليك أن تعي أنه ما من كف تُرفع إلى الله إلا ويستجيب لها.

<u>سادسًا:الذّهابُ إلى مُزدلفة:</u>

يذهب الحجّاجُ إلى مزدلفة بعد غروب شمس يوم عرفة؛ ويكونون -كما يقول أحدهم- وكأنهم خلّفوا الصّراط وراءهم، وأقبلوا إلى الجنّة أمامهم.

مزدلفة ليست إلا صحراءَ قاحلةً، لكن الحاجّ لا يشعر بقسوة الطقس، وينسى التعب والجهد الجسديّ، بسبب خروجه من عرفة فَرِحًا متيقّنًا أنه وضع دعواته عند ربٍّ كريم، ثم ينام الحجّاج نومةً تسمى (**إغفاءةُ المحسنين**).

وعند طلوع الفجر يُصلّون، ثم يدعون مجددًا إلى أنْ يسفِر، **وهذا الموطن الرّابع من مواطن استجابة الدعاء.**

[23] أخرجه أحمد، وصحّحه الألباني.

[24] أخرجه مسلم.

سابعًا:التّوجّه لمنى لرمي جمرة العقبة:

يأتي الحجاج إلى منًى في يوم العيد، ويتوجّهون لرمي جمرة العقبة؛ وهي سبع حصى بمقدار حبة الفول أو الحمص، ويمكن أن يأخذوها من مزدلفة أو من الطريق، فأنت عندما ترميها اطرح بها كل ذنوبك وآثامك. ورمي الجمرات جاء من رمي إبراهيم -عليه السلام- للشيطان عندما حاول الشيطان أن يثني إبراهيم -عليه السلام- عن ذبح ابنه إسماعيل استجابةً لأمر الله تعالى، لذلك يقول ابن عباس -رضي الله عنه-: "الشيطان ترجمون وملة أبيكم إبراهيم تتبعون".

فالفكرة هي أنك ترمي ذنوبك وتنفّذ المنسك اقتداءً بأبينا إبراهيم، لأن الشيطان ليس مجسّدًا في هذا الشاخص الذي ترمي به الحصى.

ومع رميك للجمرات عليك أن تكبّر **(الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد)**، واعتبارًا من هذه اللحظة يبدأ التكبير **المقيّد**،فتستبدِل التلبية بالتكبير، وتكون هي شعار الحج.

ثامنًا: طوافُ الإفاضة:

وهو رابعُ أركانِ الحجّ، ويبدأُ بعد طلوعِ شمسِ يومِ العيد، ويكون **سبعةَ** أشواطٍ حول الكعبة، يطوف الحاجّ طواف الإفاضة، أو أنّه يجمع بين طواف الإفاضة وطواف الوداع، وليس على الحاجّ سعيٌ إذا كان قد سعى بعد طواف القدوم، وبعدها يحقُّ للحاجّ التّحلّل الثّاني.

تاسعًا: رميُ الجمرات الثّلاثة في أيّام التّشريق:

يرمي الحاج الجمرات الثّلاث الصّغرى، والوسطى، والكبرى، في اليوم الحادي عشر والثاني عشر؛ يرمي الجمرة الصغرى، ثم ينحو قليلاً ويدعو، ثم يرمي الوسطى ثم ينحو شمالاً ويدعو. وهذان الموطنان هما الخامس والسادس لاستجابة الدعاء.

فهذه الأيام **(الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)** هي أيام عيد، وأنت في فراغٍ من وقتك، فاستثمرها بالدعاء، فبعد رمي كل جمرة قف وادعُ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في هذا الموضع مقدار قراءة سورة البقرة، فإذا كان النبي الطاهر المطهَّر من الذنوب والخطايا يدعو هكذا، فكم يجب أن تدعو أنت؟

عاشرًا: طوافُ الوداع:

يطوف الحاج طوافه الأخير، وهو آخر العهد بالبيت، فهي -إذًا- دعواتُك الأخيرة، فمع الشّوط السّابع والأخير ينتهي الحجّ كلُّه، فثابر بالذكر والاستغفار والدعاء ما استطعت، والبعض كان يدعو: **(اللهم إن البيت بيتك، والعبد عبدك، أحمدك أن حملتني إلى بيتك، وأعنتني على قضائي مناسكك، فإن كنتَ قد رضيتَ عني فازدد رضى، فهذا آوان انصرافي).**

وهذا -في الحقيقة- مناجاةٌ، فالحاج يخشى الرجوع لبيته وفيه شيءٌ من التقصير، فاحرصْ أن تلوذ برحمة ربك داعيًا: غير مستبدلٍ بك ربنا ولا ببيتك ولا راغبٍ عنك ولا عن بيتك، اللهم فاصحبني العافية في بدني، والعصمة في ديني، وارزقني طاعتك ما أبقيتني، وأحسن من قلبي ورجوعي، واجمع لي بين خيرَي الدّنياو الآخرة).

ونستذكر ممّا سبق **مواضعَ استجابةِ الدّعاء في رحلةِالحجّ**؛ وهي:

الصّفا، والمروة، وعرفة، ومزدلفة، وعند رمي الجمرات في اليومين الحادي عشر والثّاني عشر.

- **كيفَ يكون الحجّ (مبرورًا)؟**

قال الله جل جلاله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾. وقال جل جلاله:﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ (البقرة: 177).

وقال الرّسول صلى الله عليه وسلم:" الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلّاالجنّة، قيل ومابِره؟قال : إطعامُالطّعام، وطِيبالكلام"[25].

[25] أخرجه أحمد في مسنده، وصحّحه الألباني لغيره.

وقال ابنُ عمر: **"البرُّ شيءٌ هيّنٌ؛ وجهٌ طَلْقٌ، وكلامٌ ليّن ".**

- **نستنتج أنّ الحجّ المبرورَ هو الذي يشتمل على خمسةِ أمور:**

1. الإكثارِ من ذكرِ الله سواءٌ في التلبيةِ أو في التّكبير.
2. حفظِ الجوارحِ؛ كغضّ البصر، وحفظِ اللّسان.
3. تعظيمِ شعائرِ الله،قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: 32). فعظّمْ شعائرَ الله لأنّ الحسنةَ بعشرِ أمثالِها، ولتعلمْ أيضًا أنّ السيئة في البلدِ الحرامِ مضاعفةٌ، فاحذر.
4. حسنِ الخَلَق؛ قال العلماء فيه: " **هو كفُّ الأذى، وبذلُ النّدى -الكرم-واحتمالُ الأذى".**
5. الإكثارِ من الصّدقة والنّفقة والبذل، وهذا يشتمل على الجوانب الماديّة والمعنويّة. كمساعدةِ بعض الحجّاج الأجانبِ في أداءِ مناسكهم...

أحبُّ أن أختمَ -في هذا المَقام- بحديث النبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم عن ثواب الحجّ: "إنّك إذا خرجت من بيتك تؤُمّ البيت الحرام فأنت لا تضع ناقتك خفًا ولا ترفعه إلّا كتب الله لك به حسنةً ومحا عنك خطيئةً وأمّا ركعتاك بعد الطّواف كعتقِ رقبةٍ من بني إسماعيل، وأمّا طوافك بالصّفا والمروة كعتقِ سبعينَ رقبةٍ، وأمّا وقوفك عشيّة عرفةفإنّ الله يَنزلإلى السّماء الدّنيا فيباهي بكمُ الملائكةَ فيقول: عبادي جاءوني شُعْثًا من كلّ فجٍّ عميق، يرجون رحمتي فلو كانت ذنوبكم كعددِ الرّمل أو كقطرِ المطر أو كزَبَدِ البحر لغفرتُها،أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتم له، وأما رميُك الجمار فلك بكلّحصوةٍ رميتها تكفيرٌ كبيرةٍ من الموبقات، فهي بالمجمل سبعونَ تكفيرةٍ لمن أحسنَ التّوبة، وأمّا نحرُك فالأجرُ مخفوضٌ عند الله تعالى، وأما حلاقةُ رأسِك فلك بكل شعرةٍ حسنةٌ تُمحَى بها خطيئةٌ، وأمّا طوافك بالبيت فيأتي مَلَكٌ فيضع يديه بين كتفيك، فيقول لك: اعملْ فيما تستقبلُ فقد غُفِرَ لك ما مضى"[26].

لذلك يعودُ الحاجّ إلى بيته ولسانُ حاله يقول كما قال النبيّ-عليه الصّلاة والسّلام-: **"آيبونَ تائبونَ عابدونَ، لربّنا حامدون".**

[26] صحّحه الشّيخ الألباني.

أسألُ اللهَ تعالى أنْ يرزقَنا وإيّاكم حجّةً مبرورةً، وأنْ ييسّرَ لحجّاج بيته أمرهم، ويستجيبَ لدعواتهم. سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. والحمد لله ربِ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها